

الأستاذة: نورة رجاتي.

قسم العقيدة ومقارنة الأديان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

-قسنطينة-

العلاقة بين علم الكلام وعلم الحديث

-مقاربة في التأصيل الشرعي لعلم الكلام-

مقدمة:

ما فتى "علم الكلام" يشكل مادة دسمة للجدل حول أصالته وعلاقته بالعلوم الشرعية الأخرى (مع تحفظنا على مصطلح الشرعي للعلم في الإسلام)، مما يطرح التساؤل حول جدوى الجدل وشرعيته، ذلك أنّ تتبعنا للتراث الفكري للأمة الإسلامية والإنتاج المعرفي لها، يجعلنا في توجس من طرح مثل هذه الإشكالات حول هذا العلم بالذات وحول المدارس الكلامية التي مثلته.

ذلك أنّ هذا العلم بالنسبة لأكثر العلوم شرعية وأصالة: (علمي التفسير والحديث)، شكل مادة هامة إن من حيث الموضوع أو المنهج، بل أكثر من ذلك حيث أنّ معظم المفسرين والمحدثين متكلمين.

وهذا ما سنحاول إثباته من خلال تتبع هذه المسائل في تراثنا المعرفي والفكري منذ البدايات الأولى لظهور هذا العلم، مركزين على علم الحديث ورواده.

1-التأصيل المفاهيمي لعلمي الكلام وعلم الحديث:

1- مفهوم علم الكلام:

- مفهوم العلم:

عرّف العلم بأنّه "الاعتقاد الجازم المطابق للواقع"، أو "هو حصول صورة الشيء في العقل" كما يعرفه الحكماء والأول أخص من الثاني، وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به، وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه، وقيل: هو مستغن عن التعريف، وقيل: العلم: صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات، وقيل: العلم، وصول النفس إلى معنى الشيء، وقيل: عبارة عن إضافة مخصوصة بين العاقل والمعقول، وقيل: عبارة عن صفة ذات صفة<sup>1</sup>.

وقسمه الجرجاني إلى "قديم وهو القائم بذاته تعالى ولا يُشبهه بالعلوم المحدثّة للعباد، وحادث ينقسم إلى ثلاثة أقسام: بديهي، وضروري، واستدلالي. فالبديهي: ما لا يحتاج إلى تقديم مقدمة، كالعلم بوجود نفسه، وأن الكل أعظم من الجزء، والضروري، ما لا يحتاج فيه إلى تقديم مقدمة، كالعلم بثبوت الصانع وحدوث الأعراض.<sup>2</sup>

### - مفهوم الكلام:

عرف الهروي الكلام ب" ... والكلام: مَعْرُوف"<sup>3</sup>

أما عند صاحب الصحاح تاج اللغة ف"الكلام: اسم جنس يقع على القليل والكثير، والكلم لا يكون أقلّ من ثلاث كلمات، لأنّه جمع كَلِمَةٍ، مثل نَبَقَةٍ وَنَبِقٍ. ولهذا قال سيبويه: " هذا باب علم ما الكَلِمُ من العربية ولم يقل: ما الكلام، لأنّه

1 - كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م، ص155.

2 - كتاب التعريفات: المصدر نفسه، ص155.

3 - تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى، 2001م، ج10، ص147.

أراد نفس ثلاثة أشياء: الاسم والفعل والحرف، فجاء بما لا يكون إلا جمعاً، وترك ما يمكن أن يقع على الواحد والجماعة "1

ويفصل أكثر صاحب معجم مقاييس اللغة فيقول: "(كَلِمٌ) الْكَافُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى نُطْقٍ مُفْهِمٍ، وَالْآخَرُ عَلَى جِرَاحٍ. فَالْأَوَّلُ الْكَلَامُ. تَقُولُ: كَلَّمْتُهُ أَكَلَّمْتُهُ تَكَلِّمًا، وَهُوَ كَلِيمِي إِذَا كَلَّمَكَ أَوْ كَلَّمْتَهُ. ثُمَّ يَتَسَعُونَ فَيَسْمُونَ اللَّفْظَةَ الْوَاحِدَةَ الْمُفْهِمَةَ كَلِمَةً، وَالْقِصَّةَ كَلِمَةً، وَالْقَصِيدَةَ بِطُولِهَا كَلِمَةً. وَيَجْمَعُونَ الْكَلِمَةَ كَلِمَاتٍ وَكَلِمًا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَأَنْبِيَاءٌ نَحْمُكُمُ... تَبَيَّنَ

النساء: ٤٦

وَالْأَصْلُ الْآخِرُ الْكَلِمُ، وَهُوَ الْجُرْحُ، وَالْكَلامُ: الْجِرَاحَاتُ، وَهُوَ كَذَلِكَ الْأَرْضِ الْغَلِيظَةُ... "2

أما ابن منظور فيرى أنّ دلالة الكلم هي " القرآن الكريم، كلام الله وكلم الله وكلماته وكلمته، وكلام الله لا يُجَدُّ وَلَا يُعَدُّ مستشهدا بقوله "صلى الله عليه وسلم": "أعوذ بكلمات الله التامات"3

1 - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت-الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م، ج5، ص2023.

2 - معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399 هـ - 1979 م، ج5، ص131.

3 - مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ): المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي - الإمارات-الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م، باب: احترام المسجد، رقم الحديث: 48، ج1، ص263.

كما أن كلمات الله في قوله "صلى الله عليه وسلم": "سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ كَلِمَاتِهِ"<sup>1</sup> هي صفاته، وهي قوله في حديثِ النَّسَاءِ: "اسْتَحَلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ"<sup>2</sup> على رأي ابنِ سِيَدَه.

ثم ساق رأي من فرق بين الكلام والقول، حيث أن الكلام ما كان مكتفياً بنفسه وهو الجُمْلَةُ، والقَوْلُ ما لم يكن مكتفياً بنفسه، وهو الجزء من الجُمْلَةِ كسَيِّوِيَه: الذي يستدل على الفرق بين الكلام والقول، بإجماع الناس على أن يقولوا القرآن كلام الله ولا يقولوا القرآن قول الله، في حين يرى الجوهري أن الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير... وكان الكلام في هذا الإتساع إنما هو محمول على القول، ألا ترى إلى قلة الكلام هنا وكثرة القول؟"<sup>3</sup>

أما في المعجم الوسيط "فا(الكلام) في أصل اللُّغَةِ الْأَصْوَاتِ المفيدة، و (عند المتكلمين) المَعْنَى الْقَائِمِ بِالنَّفْسِ الَّذِي يَعْبُرُ عَنْهُ بِالْقَافِظِ يُقَالُ فِي نَفْسِي كَلَامٌ و (في اصطلاح النحاة) الجُمْلَةُ المركبة المفيدة نحو جاء الشتاء أو شبهها مما يكتفى بنفسه نحو يا علي."<sup>4</sup>

---

1 - سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م، باب: التسبيح بالعصى، رقم الحديث: 1503، ج2، ص617.

3 - لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ) الناشر: دار صادر - بيروت - الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، ج12، ص523.

4 - المعجم الوسيط: المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة - (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة، ج2، ص796.

"والكلام: يُؤلَّفُ مِنْ كَلِمَتَيْنِ فَصَاعِدًا وَهُوَ اسْمٌ يَقُومُ مَقَامَ الْمُصَدَّرِينَ: التَّكَلُّمُ  
والتَّكْلِيمُ."<sup>1</sup>

### - مفهوم علم الكلام:

عُرِّفَ علم الكلام بموضوعه فقيل فيه أنه "علم باحث عن الأعراض الذاتية  
للموجود من حيث هو على قاعدة الإسلام".<sup>2</sup>

"لما كان علم الكلام نفسه يبحث عن ذات الله تعالى، وصفاته، وأسمائه، وعن  
أحوال الملائكة، والأنبياء، والأولياء، والأئمة، والمطيعين، والعاصين، وغيرهم في  
الدنيا والآخرة، ويمتاز عن الإلهي المشارك له في الأبحاث بكونه على طريقة هذه  
الشريعة، فحده إنه علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته، وأحوال الممكنات  
في المبدأ، والمبدأ على قانون الإسلام"<sup>3</sup>

ويُفرق بين المتكلم والفيلسوف بأنّ هذا الأخير يستدل ثم يعتقد، والمتكلم  
يعتقد ثم يستدل...<sup>4</sup>

وقد عرفه ابن خلدون بدوره فقال: "هو علم يتضمّن الحجاج عن العقائد  
الإيمانيّة بالأدلة العقلية والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب

---

1 - المجموع المغيث في غربي القرآن والحديث: محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المدني، أبو موسى (المتوفى: 581هـ)، المحقق: عبد الكريم العزباوي، الناشر: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة - دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ج 1 (1406 هـ - 1986 م) وج 2، 3 (1408 هـ - 1988 م)، ج 3، ص 71.

2 - كتاب التعريفات: المصدر السابق، ص 156.

3 - الصحائف الإلهية: شمس الدين السمرقندي، حققه وعلق عليه وخرج نصوصه: أحمد عبد الرحمن الشريف، دون طبعة، دون تاريخ، ص 65-66.

4 - الصحائف الإلهية: الهامش، المصدر نفسه، ص 65.

السلف وأهل السنّة. وسرّ هذه العقائد الإيمانيّة هو التّوحيد.<sup>1</sup> الذي أقيمت عليه الأدلة المأخوذة من القرآن وصحيح السنة التي نشأ من أجلها علم الحديث.

### ب- مفهوم علم الحديث رواية ودراية:

عُرّف علم الحديث روايةً بأنه "علم يعرف به أقوال رسول الله وأفعاله وأحواله، ودراية - قَالَ الحَافِظُ العِرَاقِيّ - وَهُوَ المَرَادُ عِنْدَ الإِطْلَاق - : علم يعرف به حال الرّايي والمروي من حيثُ القَبُولُ والرَّدُّ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ فِي مَعْرِفَةِ اصْطِلَاحِ أَهْلِهِ، كما قيل أنه هُوَ القَوَاعِدُ الكُلِّيَّةُ المَعْرِفَةُ بِحَالِ الرّايي والمروي وغايته: معرفة المقبول والمردود. ومسائلهما حوته كتبه من المَقَاصِدِ. وقيل: علم بقوانين يعرف بها أحوال الإسناد والمتن. واختاره ابن جماعة. قَالَ: مَوْضُوعُهُ السَّنَدُ والمتن. وغايته تَمْيِيزُ الصَّحِيحِ مِنْ غَيْرِهِ. وَقَالَ ابن قَطْلُوبِغَا والبِقَاعِي: مَوْضُوعُهُ طَرُقُ الحَدِيثِ، لِأَنَّ المُحَدَّثَ يَبْحَثُ عَمَّا يَعرَضُ لِدَاتِهَا مِنْ الإِتِّصَالِ وَأحوال الرّجَالِ. وَأما قول الكَرْمَانِي: حَدَهُ علم يعرف به أقوال النبي وأفعاله، وأحواله. وموضوعه ذات النبي من حيثُ إِنَّهُ نَبِيٌّ فَرَدَ بِشَمُولِهِ لِعِلْمِ الاستنباط، وَبِأَنَّ هَذَا مَوْضُوعُ الطَّبِّ لَا الحَدِيثِ<sup>2</sup> أما من عرّفه من حيث غايته ومراده فقد اعتبره تحقيقاً لمعاني المتن، وتحقيق علم الإسناد والمعلل، والعلة عبارة عن معنى في الحديث خفي يقتضي ضعف الحديث مع أن ظاهره السلامة منها، وتكون العلة تارة في المتن، وتارة في الإسناد وليس المراد من هذا العلم مجرد السماع، ولا الإسماع ولا الكتابة بل الاعتناء

1 - ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ)، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م. ج1، ص580.

2 - اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، المحقق: المرتضي الزين أحمد، مكتبة الرشد - الرياض - الطبعة: الأولى، 1999م، ج1، ص230.

بتحقيقه، والبحث عن خفي معاني المتون، والأسانيد والفكر في ذلك ودوام الاعتناء به، ومراجعة أهل المعرفة به ومطالعة كتب أهل التحقيق فيه، وتقييد ما حصل من نفاثته، وغيرها فيحفظها الطالب بقلبه ويفيدها بالكتابة ثم يديم مطالعة ما كتبه، ويتحرى التحقيق فيما يكتبه، ويتثبت فيه فإنه فيما بعد ذلك يصير معتمداً عليه

1.

وقد عدّ ابن خلدون علوم الحديث الكثيرة والمتنوعة التي منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه، ومعرفتهما من أهم هذه العلوم وأصعبها وهي مما أعجز الفقهاء وأعيانها، ومنها النظر في الأسانيد ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط، ثم النظر في كيفية أخذ الرواية بعضهم عن بعض، واتباع ذلك بكلام في ألفاظ تقع في متون الحديث من غريب أو مشكل أو تصحيف أو مفترق منها أو مختلف، ومعرفة هذه الشروط والاصطلاحات كلها هي

علم الحديث<sup>2</sup>

وعليه فإن كان علم الكلام موضوعه توحيد الله، ومهمته الحجاج على هذه العقيدة وما يتعلق بها، ويعتمد على الحقيقة التي جاء بها القرآن الكريم المؤيد بالحفظ الرباني، وأيدتها السنة النبوية الشريفة التي خالطها الوضع الذي نشأ علم الحديث من أجل تمييزه عن الصحيح منها، وعليه فهو يدور حول أحد الأدلة التي يستند عليها المتكلم في إقامة الأدلة على صحة العقيدة ودفع الشبه عنها.

---

1 - قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى:

1332هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ص76.

2 - ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: المصدر السابق، ج1، ص558-559.

ومنه فإن نشأة علم الكلام وعلم الحديث كانت استجابة للتحديات والتهديدات الأمنية على عقيدته وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فنال علم الحديث الشرعية الإسلامية التي لم ينلها علم الكلام.

فإلى أي مدى يصدق هذا الحكم؟ وما مدى شرعية علم الكلام وما علاقته بعلم الحديث؟

## 2-العلاقة بين علم الكلام وعلم الحديث من خلال المواضيع ومن خلال المنهج والتأليف فيه.

أولاً: من خلال المواضيع والمؤلفات:

وقد تتبعنا أكثر من عشرين مؤلفاً في مواضيع كلامية، من خلال عنوان المصنف في علم الحديث، ورتبتها بحسب تاريخ وفاة مؤلفيها ابتداءً من سنة 197هـ. وهي كما يلي:

1-القدر وما ورد في ذلك من الآثار: المؤلف: أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: 197هـ)، المحقق: د. عبد العزيز عبد الرحمن العثيم، الناشر: دار السلطان - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1406 هـ.

ونأخذ منه نموذجاً لتداخل الحديثي بالكلامي يتمثل في:

- بَابُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ لِلْجَنَّةِ وَلِلنَّارِ أَهْلًا قَبْلَ أَنْ يُخْلَقُوا وَيَعْمَلُوا: ويسوق فيه هذا الحديث الذي ينقل المحدث فيه رأيه في هذه المسألة الكلامية: "أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ حَسَّانَ الْبَكْرِيِّ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ حَاجًّا، فَلَقِيتُ ابْنَ الْمُسَيَّبِ فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، كَيْفَ تَقُولُ فِي الْعَزْلِ؟ فَقَالَ: إِنَّ شِئْتَ حَدِّثُكَ حَدِيثًا مُوجِزًا، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ أَرَاهُ كَرَامَةً لَمْ يُرَهَا أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، أَرَاهُ

كُلَّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَزِيدُ فِيهِمْ أَوْ  
يَنْقُصُ فَقَدْ كَذَبَ، وَلَوْ كَانَ لِي سَبْعُونَ مَا بَالَيْتُ. "1

- بَابُ: مَنْ يُضِلُّ اللَّهَ فَلَا هَادِيَ لَهُ. ووثق فيه رأي عمر ابن الخطاب في  
المسألة حيث يقول: " أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو  
الْأَوْزَاعِيِّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدِمَ الشَّامَ فَخَطَبَ النَّاسَ  
بِالْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ الْجَاهِلِيُّ قَرِيبًا مِنْهُ، فَقَالَ عُمَرُ فِي خُطْبَتِهِ: مَنْ يُضِلُّ اللَّهَ فَلَا  
هَادِيَ لَهُ، فَقَالَ الْجَاهِلِيُّ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ أَحَدًا، فَقَالَ عُمَرُ: مَاذَا يَقُولُ؟  
فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ عُمَرُ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، بَلِ اللَّهُ خَلَقَكَ وَهُوَ يُضِلُّكَ، ثُمَّ  
يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ النَّارَ إِنْ شَاءَ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا عَقْدِي لَضَرَبْتُ عُقُقَكَ، إِنَّ  
اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ أَخَذَ ذُرِّيَّتَهُ فَكَتَبَ أَهْلَ الْجَنَّةِ وَمَا هُمْ عَامِلُونَ، وَكَتَبَ أَهْلَ  
النَّارِ وَمَا هُمْ عَامِلُونَ، فَافْتَرَقَ هَؤُلَاءِ، وَمَا يَخْتَلِفُ اثْنَانِ فِي الْقَدْرِ. 2

1 - القدر وما ورد في ذلك من الآثار: أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: 197هـ)، المحقق: د. عبد  
العزيز عبد الرحمن العثيم، دار السلطان - مكة المكرمة - الطبعة: الأولى، 1406 هـ، ص 81-82.

2 - القدر وما ورد في ذلك من الآثار: المصدر السابق، ص 113-114.

2- كتاب الإيمان "ومعالمه، وسننه، واستكمالها، ودرجاته": المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م، ويستفتحه صاحبه بقوله بعد بسم الله الرحمن الرحيم.

توكلت على الله.

1. بَابُ نَعْتِ الْإِيمَانِ فِي اسْتِكْمَالِهِ وَدَرَجَاتِهِ: أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ مَعْرُوفٍ - أَعْنِي: ابْنُ أَبِي نَصْرِ - فِي دَارِهِ بِدِمَشْقَ، فِي صَفَرِ سَنَةِ عِشْرِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى الْعَسْكَرِيُّ "صَاحِبُ [أَبِي] عُبَيْدٍ؛ الْقَاسِمُ ابْنُ سَلَامٍ" هَذِهِ الرَّسَالَةَ وَأَنَا أَسْمَعُ: قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّكَ كُنْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْإِيمَانِ، وَاخْتِلَافِ الْأُمَّةِ فِي اسْتِكْمَالِهِ وَزِيَادَتِهِ وَنَقْصِهِ، وَتَذَكُّرِ أَنَّكَ أَحْبَبْتَ مَعْرِفَةَ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ مِنْ ذَلِكَ، وَمَا الْحُجَّةُ عَلَيَّ مَنْ فَارَقَهُمْ فِيهِ؟ فَإِنَّ هَذَا رَحِمَكَ اللَّهُ خَطْبُ قَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ السَّلَفُ فِي صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَتَابِعِيهَا وَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَقَدْ كَتَبْتُ إِلَيْكَ بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ عِلْمُهُ مِنْ ذَلِكَ مَشْرُوحًا مُخَلَّصًا. وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ. لِيَبِينَ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ افْتَرَقُوا فِي الْمَسْأَلَةِ إِلَى فِرْقَتَيْنِ:

الأولى قالت: الإيمان الإخلاص لله بالقلوب وشهادة الألسنة وعمل الجوارح.  
وقالت الأخرى: بل الإيمان بالقلوب والألسنة، فأما الأعمال فإنما هي تقوى وبر، وليست من الإيمان. ليين موقفه من المسألة والذي يصدقه الكتاب والسنة حسبه، وهو أنّ الإيمان بالنية والقول والعمل جميعاً.<sup>1</sup>

1 - كتاب الإيمان "ومعالمه، وسننه، واستكمالها، ودرجاته": أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م، ص10.





مَسْجِدٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَأَنَا عَلَى شِرْكِي، " فَوَاللَّهِ مَا أَنْبَهَنِي إِلَّا قِرَاءَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَغْرِبِ طَأْأَأَنِي □ ير □ الطور: ١ - ٢

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «وَلَقَدْ بَيَّنَّ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ أَنَّ كَلَامَ الرَّبِّ لَيْسَ بِخَلْقٍ، وَأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَعْرِفُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ إِلَّا بِالْفِعْلِ، فَمَنْ كَانَ لَهُ فِعْلٌ فَهُوَ حَيٌّ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِعْلٌ فَهُوَ مَيِّتٌ، وَأَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ، فَضَيَّقَ عَلَيْهِ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وَتَوَجَّعَ أَهْلُ الْعِلْمِ لِمَا نَزَلَ بِهِ، وَفِي اتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ نُعَيْمًا وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُ لَيْسَ بِمُفَارِقٍ وَلَا مُبْتَدِعٍ، بَلِ الْبِدْعُ وَالرَّيْسُ بِالْجَهْلِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى، إِذْ يُفْتُونَ بِالْآرَاءِ الْمُخْتَلَفَةِ، مِمَّا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ»<sup>1</sup>

7- الرد على الجهمية: المؤلف: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: 280هـ)، المحقق: بدر بن عبد الله البدر، الناشر: دار ابن الأثير - الكويت، الطبعة: الثانية، 1416هـ - 1995م.

ونسوق الأبواب التي صنفتها المحدث المتكلم:

- بَابُ الْإِيمَانِ بِالْعَرْشِ وَهُوَ أَحَدُ مَا أَنْكَرْتُهُ الْمُعْطَلَةُ.<sup>2</sup>

- بَابُ اسْتِوَاءِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ وَارْتِفَاعِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَبَيِّنُونْتِهِ مِنَ الْخَلْقِ وَهُوَ أَيْضًا مِمَّا أَنْكَرُوهُ.<sup>3</sup>

- بَابُ النُّزُولِ: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَمِمَّا يُعْتَبَرُ بِهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي النُّزُولِ، وَيُحْتَجُّ بِهِ عَلَى مَنْ أَنْكَرَهُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: أَلَمْ يَكُنْ لَهُ...<sup>4</sup>

البقرة: ٢١٠

1 - خلق أفعال العباد: المصدر نفسه، ص 85.

2 - الرد على الجهمية: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: 280هـ)، المحقق: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير - الكويت - الطبعة: الثانية، 1416هـ - 1995م، ص 1.

3 - الرد على الجهمية للدارمي: المصدر السابق، ص 40.



أَقْبَلَ يُؤْنَسُ عَلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ تَصْدِيقَ هَذَا الْحَدِيثِ فِي كِتَابِ  
 اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ لَهُ سَعِيدٌ: أَيْنَ لِي يَا حَلْبَسُ، قَالَ: أَمَا تَسْمَعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ  
 يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: {وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ  
 وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ  
 وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} 2 أَرَأَيْتَ يَا سَعِيدُ، لَوْ أَنَّ هَؤُلَاءِ أَهْمَلُوا كَمَا يَقُولُ  
 الْأَخَابِثُ، أَيْنَ كَانُوا يَذْهَبُونَ؟ ، حَيْثُ حُبَّبَ إِلَيْهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمْ، أَمْ حَيْثُ كُرِّهَ إِلَيْهِمْ  
 وَبَغُضَ إِلَيْهِمْ؟<sup>1</sup>

وهكذا في الكتب الموالية، يتلاقح علم الحديث بعلم الكلام وعلم الكلام بعلم  
 الحديث في سمفونية منسجمة، تمثلها العالم المسلم الذي جمع بين العلمين في  
 شخصه بحيث لا يمكن الفصل بينهما إلا باحتمال مستبعد لانفصام مرضي في  
 الشخصية وهو ما لا يمكن إثباته لانتفائه واقعا وحالا.

9- كتاب النعوت الأسماء والصفات: للإمام الحافظ أحمد بن شعيب  
 النسائي (215هـ-303هـ)

10- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: المؤلف: أبو بكر محمد بن  
 إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى:  
 311هـ)، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: مكتبة الرشد -  
 السعودية - الرياض، الطبعة: الخامسة، 1414هـ - 1994م

11- كتاب النزول، كتاب الصفات: للإمام الحافظ الشهير أبي الحسن علي بن  
 عمر الدارقطني (306هـ-358هـ).

1 - كتاب القدر: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستنفاض الفريابي (المتوفى: 301هـ)، المحقق: عبد الله بن حمد  
 المنصور

أضواء السلف، الطبعة: الأولى 1418 هـ - 1997م، ص 53.

- 12- التبصير في معالم الدين: المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، الناشر: دار العاصمة، الطبعة: الأولى 1416 هـ - 1996 م.
- 13- الرد على من يقول القرآن مخلوق: أحمد بن سلمان النجاد المثنوي سنة 348هـ.
- 14- كتاب الصفات للإمام الحافظ علي بن عمر الدارقطني (306هـ-385هـ)
- 15- الكتاب: الإيمان لابن منده: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي (المتوفى: 395هـ)، المحقق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1406 .
- 16- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: 418هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة - السعودية، الطبعة: الثامنة، 1423 هـ / 2003 م
- 17- إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين: المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُوْجَردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: د. شرف محمود القضاة، الناشر: دار الفرقان - عمان الأردن، الطبعة: الثانية، 1405
- 18- الأسماء والصفات للبيهقي: المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُوْجَردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة السوادبي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1993 م
- 19- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث

المحقق: أحمد عصام الكاتب، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة:  
الأولى، 1401

20- كتاب التوحيد: للحافظ أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي المتوفي  
سنة 600هـ..

14- جزء فيه مجلسان من أمالي أبي الحسين بن بشران: المؤلف: علي بن محمد بن  
عبد الله بن بشران الأموي أبو الحسين البغدادي المعدل (المتوفى: 415هـ)، المحقق:  
أبي عبد الله حمزة الجزائري، الناشر: الدار الأثرية [ضمن مجموع كتاب سلوك طريق  
السلف وستة أجزاء أخرى]  
الطبعة: الأولى 2009 م.

15- إبطال التأويلات لأخبار الصفات: المؤلف: القاضي أبو يعلى، محمد بن  
الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى: 458هـ)، المحقق: محمد بن حمد  
الحمود النجدي، الناشر: دار إيلاف الدولية - الكويت.

16- البعث والنشور للبيهقي: المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى  
الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، الحافظ أبي بكر أحمد  
بن الحسين البيهقي المتوفى سنة 458 هـ، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، الناشر:  
مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986 م

17- القضاء والقدر: المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي  
الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: محمد بن عبد الله آل عامر،  
الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض / السعودية، الطبعة: الأولى، 1421 هـ -  
2000 م

18- الحجّة في بيان الحجّة وشرح عقيدة أهل السنة: الإمام الحافظ قوّم السنة أبي  
القاسم إسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني المتوفى سنة 535هـ.

19- إثبات صفة العلو: المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى : 620هـ)، المحقق : أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الناشر : مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة : الأولى، 1409هـ / 1988م

20- إثبات الشفاعة: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، المحقق: إبراهيم باجس عبد المجيد، الناشر: أضواء السلف، الطبعة: الأولى 1420 هـ - 2000 م، عدد الأجزاء: 1

21- الأربعين في دلائل التوحيد لأبي إسماعيل الهروي (396-481هـ) ورسالة في الذب عن أبي حسن الأشعري. لأبي القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس (576هـ-659هـ).

22- الأربعين في صفات رب العالمين: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة 748هـ.

### ب- من خلال المنهج.

ويظهر ذلك جليا من خلال اختيار عناوين كلامية للأحاديث النبوية الشريفة كما سبقت الإشارة إليه من جهة، كما يظهر كذلك من منهج الردود على الآراء الكلامية المخالفة التي تتفاوت بين التأييد والدفاع كما في كتاب تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الأشعري لابن عساكر الذي يقول فيه: "فَكَانَ الْأَشْعَرِيُّ رَحْمَةً اللَّهِ عَلَيْهِ وَرِضْوَانَهُ أَشَدَّهُمْ بِذَلِكَ اهْتِمَامًا وَأَلْذَمُّهُ لِمَنْ حَاوَلَ الْإِلْحَادَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ خِصَامًا وَأَمَدَّهُمْ سِنَانًا لِمَنْ عَانَدَ السُّنَّةَ ... أَلْزَمَ الْحُجَّةَ لِمَنْ خَالَفَ السُّنَّةَ وَالْمُحِجَّةَ إِذَا مَا فَلَاحَ فِي التَّعْطِيلِ وَلَمْ يَغْلُ فِي التَّشْبِيهِ وَابْتَغَى بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا وَأَلْهَمَهُ اللَّهُ نَصْرَةَ السُّنَّةِ بِحُجَجِ الْعُقُولِ حَتَّى انْتَضَمَ شَمْلُ أَهْلِهَا بِهِ انْتِظَامًا وَقَسَمَ الْمَوْجُودَاتِ مِنَ الْمَحْدَثَاتِ أَعْرَاضًا وَجَوَاهِرًا وَأَجْسَامًا وَأَثَبَتْ لَهَا سُبْحَانَهُ مَا أَثَبَتْ لِنَفْسِهِ مِنَ السَّمَاءِ وَالصِّفَاتِ إِعْظَامًا وَنَفَى عَنْهُ مَا لَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ مِنْ شَبْهِ خَلْقِهِ إِجْلَالًا لَهُ وَإِكْرَامًا

ونزّهه عَن سَمَاتِ الْحَدِثِ تَغْيِيرًا وَانْتِقَالًا وَإِدْبَارًا وَإِقْبَالًا وَأَعْضَاءً وَأَجْرَامًا وَائْتِمَ بِهِ مِنْ وَفَقِهِ اللَّهُ إِتْبَاعَ الْحَقِّ فِي التَّمَسُّكِ بِالسَّنَةِ ائْتِمَامًا فَلَمَّا انْتَقَمَ مِنْ أَصْنَافِ أَهْلِ الْبِدْعِ بِإِيضَاحِ الْحُجَجِ وَالْأَدْلَةِ انْتِقَامًا وَوَجْدُوهُ لَدَى الْحُجَّاجِ فِي تَبْيِينِ الْإِحْتِجَاجِ عَلَيْهِمْ فِيمَا ابْتَدَعُوهُ هَمَامًا قَالُوا فِيهِ حَسَدًا مِنَ الْبُهْتَانِ مَا لَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُنْطَقَ بِهِ اسْتِعْظَامًا وَقَدْ فُوهَ بِنَحْوِ مَا قَذَفَتْ بِهِ الْيَهُودُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَبَاهُ سَلَامًا فَلَمْ يَنْقُصُوهُ بِذَلِكَ عِنْدَ أَهْلِ التَّحْقِيقِ بَلْ زَادُوهُ بِمَا قَالُوا فِيهِ تَمَامًا وَمَدَحُوهُ بِنَفْسِ ذَمِّهِمْ وَقَدْ قِيلَ فِي الْمَثَلِ لَنْ تَعْدَمَ الْحُسْنَاءُ ذَا مَا ... وَقَدَّرَ أَبِي الْحُسَيْنِ رَحْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ عَمَّا يَرْمُونَهُ بِهِ أَعْلَى وَذَكَرَ فَضَائِلَهُ وَالتَّرْحَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْاِنتِقَاصِ لَهُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ أَوْلَى وَمَحَلَّهُ عِنْدَ فُقَهَاءِ الْأَمْصَارِ فِي جَمِيعِ الْأَقْطَارِ مَشْهُورٌ وَهُوَ بِالتَّبْرِيزِ عَلِيٌّ مِنْ عَاصِرِهِ مِنْ أَهْلِ صِنَاعَتِهِ فِي الْعِلْمِ مَذْكُورٌ مَوْصُوفٌ بِالدِّينِ وَالرَّجَاحَةِ وَالنَّبْلِ وَمَعْرُوفٌ بِشَرَفِ الْأَبُوَّةِ وَالْأَصْلِ وَكَلَامِهِ فِي حَدِثِ الْعَالَمِ مِيرَاثٌ لَهُ عَنِ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ وَتِلْكَ رُتْبَةٌ وَرِثَةٌ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَوْلَادِهِ

وَتَصَانِيفُهُ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ مَشْهُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَبِالْإِجَادَةِ وَالْإِصَابَةِ لِلتَّحْقِيقِ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ مَوْصُوفَةٌ وَمَنْ وَقَفَ عَلَى كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِالْإِبَانَةِ عَرَفَ مَوْضِعَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالدِّيَانَةِ وَمَنْ عَرَفَ كِتَابَهُ الَّذِي أَلْفَهُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَالرَّدِّ عَلَى مَنْ خَالَفَ الْبَيَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكَ وَالْبُهْتَانِ عِلْمٌ كَوْنَهُ مِنْ ذَوِي الْاِتِّبَاعِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَاسْتِحْقَاقِهِ التَّقَدُّمَ فِي الْفَضْلِ وَالْإِمَامَةِ وَسَأَذْكُرُهَا مَا حَضَرَنِي مِنْ ذِكْرِهِ وَأَبِينِ مَا وَقَعَ إِلَيَّ مِنْ أَمْرِهِ رَاغِبًا إِلَى اللَّهِ فِي إِيْضَاحِ التَّحْقِيقِ وَطَالِبًا مِنْهُ الْمَعُونَةَ وَالتَّوْفِيقَ وَهُوَ جَدِيرٌ بِتَحْقِيقِ الرَّجَاءِ قَدِيرٌ عَلَى اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ وَعَلَيْهِ فِي كُلِّ مَلَمٍ مَوْلَمٍ التَّعْوِيلُ...<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - كتاب تبیین کذب المفتری فیما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت- الطبعة: الثالثة، 1404، ص 26-29.

وبين الاستنكار والمخالفة والتبديع بإبداء الرأي والرأي الآخر معتمدين على ما يبدو لهم أنه الرأي الأصوب والوجه الأنسب في قراءة النصوص الشرعية من قرآن وأحاديث تتفاوت في درجة صحتها و نسبتها إلى الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، بحسب قدرة المحقق على التحقيق و بحسب درجة علمه، مثلما سبق توثيقه من مؤلفات في الرد على الجهمية والقدرية وغيرهم.

وحيث أن الرد يستلزم الإطلاع على الرأي المخالف وفهمه موضوعاً ودليلاً، فإن المحدث الذي يسوق رداً في مسألة كلامية لا يمكن إلا أن يعتمد منهج المتكلم والمدرسة التي ينتمي إليها، ليتمكن من الرد وقرع الحجّة بالحجّة، وهو ما يستخلص من عناوين الأبواب التي يختارها المحدثون لباقة الأحاديث المختارة في الموضوع، والتي يعلقون عليها بإبداء آرائهم في المسألة المختارة في كثير من الأحيان.

### ج- من خلال الانتساب إلى مدرسة من المدارس الكلامية.

ويمكن أن نسوق مجموعة من أسماء المحدثين الذين حسبوا على المدرسة الحديثية من أهل الكلام كأبي بكر البيهقي الذي يعترف بأشعريته ويذكره الذهبي كأحد أصولي الدين في قوله: "قال أبو الحسن عبد الغافر في ذيل تاريخ نيسابور: أبو بكر البيهقي الفقيه الحافظ الأصولي الدين الورع واحد زمانه في الحفظ وفرد أقرانه في الإتقان والضبط من كبار أصحاب الحاكم ويزيد عليه بأنواع من العلوم."<sup>1</sup>

وكابن عساكر الذي سجل حضوره ضمن المدرسة الأشعرية من خلال الكتاب الذي سبقت الإشارة إليه في الدفاع عن أي الحسن الأشعري والاعتداد بصحة آرائه، وإبطال أقوال مخالفيه فيه.

---

<sup>1</sup> - تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان-الطبعة: الأولى، 1419هـ- 1998م، ج3، ص220.

وهو ما وافقه عليه أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس (576هـ-  
659هـ) في رسالته في الذب عن أبي حسن الأشعري.

وكابن عقيل شيخ الحنابلة الذي أظهر ميولا وتبينا للمذهب المعتزلي، في كتابه  
كتاب الفنون،  
وقد عرفه الذهبي بأنه:

الإمام العلامة البحر، شيخ الحنابلة، أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن  
عبد الله البغدادي، الظفري، الحنبلي، المتكلم، صاحب التصانيف، كان يسكن  
الظفريّة، ومسجده بها مشهور. وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَع مِائَةٍ.  
وَسَمِعَ: أَبَا بَكْرٍ بْنَ بَشْرَانَ، وَأَبَا الْفَتْحِ بْنَ شَيْطَانَ، وَأَبَا مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِيَّ، وَالْحَسَنَ بْنَ  
غَالِبِ الْمَقْرِيَّ، وَالْقَاضِيَّ أَبَا يَعْلَى بْنَ الْفَرَّاءِ، وَتَفَقَّهَ عَلَيْهِ. وَتَلَا بِالْعَشْرِ عَلَى: أَبِي  
الْفَتْحِ بْنَ شَيْطَانَ. وَأَخَذَ الْعَرَبِيَّةَ عَنْ: أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ بَرْهَانَ. وَأَخَذَ عِلْمَ الْعَقَلِيَّاتِ عَنْ  
شَيْخِي الْاِعْتِرَالِ: أَبِي عَلِي بْنِ الْوَلِيدِ، وَأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ التَّبَّانِ صَاحِبِي أَبِي الْحُسَيْنِ  
الْبَصْرِيِّ، فَانْحَرَفَ عَنِ السَّنَةِ.

وَكَانَ يَتَوَقَّدُ ذِكَاءً، وَكَانَ بَحْرَ مَعَارِفَ، وَكَنَزَ فَضَائِلَ، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي زَمَانِهِ نَظِيرٌ عَلَى  
بِدْعَتِهِ، وَعَلَّقَ كِتَابَ "الْفُنُونِ"، وَهُوَ أَزِيدٌ مِنْ أَرْبَعِ مِائَةِ مُجَلَّدٍ، حَشَدَ فِيهِ كُلَّ مَا كَانَ  
يَجْرِي لَهُ مَعَ الْفُضَلَاءِ وَالتَّلَامِذَةِ، وَمَا يَسْنُحُ لَهُ مِنَ الدَّقَائِقِ وَالْعَوَامِضِ، وَمَا يَسْمَعُهُ  
مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْحَوَادِثِ.

حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو حَفْصِ الْمَغَازِلِيِّ، وَأَبُو الْمَعَمَّرِ الْأَنْصَارِيِّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ  
السَّنَجِيِّ، وَأَبُو بَكْرٍ السَّمْعَانِيُّ، وَأَبُو طَاهِرِ السَّلْفِيِّ، وَأَبُو الْفَضْلِ خَطِيبُ الْمُؤَصِّلِ،  
وَأَبْنُ نَاصِرٍ، وَآخَرُونَ.

أَنْبَأُونَا عَنْ حَمَّادِ الْحَرَّانِيِّ، سَمِعَ السَّلْفِيَّ يَقُولُ: مَا رَأَتْ عَيْنِي مِثْلَ أَبِي الْوَفَاءِ بْنِ عَقِيلِ  
الْفَقِيهِ، مَا كَانَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعَهُ لِغَزَاوَةِ عِلْمِهِ، وَحُسْنِ إِيرَادِهِ، وَبِلَاغَةِ  
كَلَامِهِ، وَفُؤُوَّةِ حُجَّتِهِ، تَكَلَّمَ يَوْمًا مَعَ شَيْخِنَا الْكِيَا أَبِي الْحَسَنِ، فَقَالَ لَهُ الْكِيَا: هَذَا

لَيْسَ مَذْهَبُكَ. فَقَالَ: أَكُونُ مِثْلَ أَبِي عَلِيِّ الْجَبَّائِي، وَفُلَانٍ وَفُلَانٍ لَا أَعْلَمُ شَيْئاً؟! أَنَا  
لِي اجْتِهَادٌ مَتَى مَا طَلَبَنِي خَصَمٌ بِالْحُجَّةِ، كَانَ عِنْدِي مَا أَدْفَعُ بِهِ عَنِ نَفْسِي وَأَقُومُ لَهُ  
بِحُجَّتِي. فَقَالَ الْكَيَا: كَذَلِكَ الظَّنُّ بِكَ، وَقَالَ فِيهِ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: كَانَ ابْنُ عَقِيلٍ دِيناً،  
حَافِظاً لِلْحُدُودِ.<sup>1</sup>

ننقل بعضاً مما ورد في كتابه الفنون من رصد وتدوين للآراء الكلامية دون  
استثناء منها: "كان أبو الهذيل العلاف، شيخ وقته في المعتزلة، يرى أن ليس فعل  
مباح؛ بل الأعمال الواقعة منا لا تخلو أن تقع طاعة أو معصية. فقال له رجل كوفي:  
ألست تقول إن أفعالك لا تخلو من طاعة أو معصية؟ قال: بلى. قال: فلبسك  
ثيابك هذه الجدد طاعة لله أو معصية له؟ فقال: إن كنت لبستها لأظهر بها نعمة  
الله علي، وأؤدي فيها فرائضه، فذلك داخل تحت قوله: {خذوا زينتكم عند كل  
مسجدٍ}، {وأما بنعمة ربك فحدث}؛ فذلك طاعة الله. وإن كنت لبستها  
لأباهي؟ بها الأغنياء، ولأغايظ بها الفقراء، فهي معصية. ولا يمكنني أن أقول  
مفصلاً ((إني لبستها أريد بلبسي لها الجهة المحمودة))، فأكون مزيكاً لنفسي؛ والله  
تع يقول: {فلا تزكوا أنفسكم}. ولا أقول ((لبستها للجهة المذمومة))، فأكون قد  
فضحت نفسي، وقد نهاني الله عن ذلك بقوله: لا يزال العبد في ستر ما ستر على  
نفسه؛ وقال النبي صلعم: من أتى من هذه القاذورات شيئاً فليستر بستر الله.

قال حنبلي: قد أحل أبو الهذيل في تقسيمه بقسم يخلو من طاعة ومعصية.  
وهو أن يلبسها للذة نفسه: إما لدفع البرد، أو الحر؛ من غير أن يخطر بباله ستر  
عورة، أو قصد زينة لمسجد، أو إظهار نعمة الله، أو مباهاة لأحد، أو قصداً لمغايسة  
أحد. ولا يمكنه أن يقول إنه ليس لنا فيما يقع من أفعالنا حالة ذهول عن الأمرين

<sup>1</sup> - سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قاتماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)  
دار الحديث - القاهرة - الطبعة: 1427هـ - 2006م، ج14، ص331.

الذين ذكرهما؛ مثلك حالة الطلاق اللهم إلا أن يقول لا يجوز له أن يلبس إلا بنية،  
وألا يخلو من قصد المباهاة. فذلك مكاثرة لما نجده من نفوسنا من الحال الثالثة:

وهي حال غفلتنا عن القسمين اللذين ذكرهما.<sup>1</sup>

ومثل هذا المنهج نجده عند العديد من العلماء حتى نكاد نجزم أنه لا يمكننا  
الفصل بين العلوم التي انبثقت من القرآن الكريم والسنة النبوية عند الرعيل الأول من  
مفكري الإسلام وعلمائه الذين قفزوا بكمشة من الأعراب إلى مصاف الحضارة  
الإنسانية، ويكفي أن من الشروط التي ينبغي أن تتوفر في المفسر أن يكون "جامعا  
للكل العلوم التي يحتاج المفسر إليها وهي خمسة عشر علما: اللغة والنحو والتصريف  
والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع وعلم القراءات، لأنه يعرف به كيفية النطق  
بالقرآن، وبالقراءات يرجح بعض الوجوه المحتملة على بعض، وأصول الدين أي  
الكلام وأصول الفقه وأسباب النزول والقصص إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية  
المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه، والناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره والفقه  
والأحاديث المبينة لتفسير المبهم والمجمل، وعلم الموهبة، وهو علم يورثه الله تعالى لمن  
عمل بما علم"<sup>2</sup>

وكذلك المحدث والمتكلم ينبغي أن يجمع كل تلك العلوم للخروج برؤية شرعية  
هي الأقرب للمقصد من النص القرآني والحديث النبوي.

---

1 - كتاب الفنون: أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي، المحقق: جورج المقدسي  
الناشر: دار المشرق، بيروت - عام 1970 م، ج1، ص55.  
تصوير: مكتبة لينة للنشر والتوزيع، دمنهور - عام 1991 م

2 - موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي  
التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ)، تقدم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى  
العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - الطبعة: الأولى - 1996م،  
ج1، ص33.

وعلى الله قصد السبيل وهو المستعان.

### قائمة المصادر والمرجع:

- 1 - كتاب الفنون: أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي، المحقق: جورج المقدسي، دار المشرق، بيروت - عام 1970 م، ج1، ص55. تصوير: مكتبة لينة للنشر والتوزيع، دمنهور - عام 1991 م.
- 1 - موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناوي، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت-الطبعة: الأولى - 1996م.
- 3- كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان-الطبعة: الأولى 1403 هـ -1983م.
- 4 - تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت-الطبعة: الأولى، 2001م.
- 5- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت-الطبعة: الرابعة 1407 هـ -1987 م.
- 6- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399 هـ -1979م.
- 7 - مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ): المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية -أبو ظبي - الإمارات-الطبعة: الأولى، 1425 هـ -2004 م.
- 8 - سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط -محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ -2009 م..

- 9 - لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، دار صادر - بيروت - الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.
- 10 - المعجم الوسيط: المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة - (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.
- 11 - المجموع المغيث في غربي القرآن والحديث: محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المدني، أبو موسى (المتوفى: 581هـ)، المحقق: عبد الكريم العزباوي، الناشر: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة - دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ج 1 (1406 هـ - 1986 م) وج 2، 3 (1408 هـ - 1988 م).
- 12 - الصحائف الإلهية: شمس الدين السمرقندي، حققه وعلق عليه وخرج نصوصه: أحمد عبد الرحمن الشريف، دون طبعة، دون تاريخ.
- 13 - ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ)، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر - بيروت - الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م.
- 14 - اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، المحقق: المرتضي الزين أحمد، مكتبة الرشد - الرياض - الطبعة: الأولى، 1999م.
- 15 - قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- 16 - القدر وما ورد في ذلك من الآثار: أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: 197هـ)، المحقق: د. عبد العزيز عبد الرحمن العثيم، دار السلطان - مكة المكرمة - الطبعة: الأولى، 1406 هـ.
- 17 - كتاب الأيمان "ومعامله، وسننه، واستكمالها، ودرجاته": أبو غبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ)، المحقق: محمد نصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000م.

18- كتاب الإيمان: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، 1983م.

19 - الرد على الجهمية والزنادقة: المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى.